وقد كتبها الكرام الكاتبون ووعد الله تعالى العقاب على كل كلمة وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة
المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه الى غير ذلك من افات اللسان وذلك محض
الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على
تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه
ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على
قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا عن فوت الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة
لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى
المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء في القران وانا نبرا الى الله ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا
عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما احد من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب
ان يخشى ويتقى ولا نغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى **بيان اصناف
المغترين واقسام فرق كل صنف** من الاصناف الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة
منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن
المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا
يعذب الله تعالى مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله عز وجل فهم
مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى
وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه
العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من
اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق
فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل
واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته
وهو يكررها ويقراها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه
شيئا هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنيه
ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون
شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه فاذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا
لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات

فلم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم
الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها
وكتب علمها وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما
مطلبك القرب الى الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان
المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك هواه فاطمان اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني
فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل وكقوله
تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه
وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق
اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى وكقوله شر الناس العلماء السوء وقول ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم
ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات وان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت
وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم
ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الاخرة اكثر من ان يحصى الا انه لا يوافق
هوى العالم العاجز وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بعين
البصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء
وان حالهم اشد عند الله تعالى من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية
الغرور واما الذي يدعي علم المكاشفة كالعلم بالله تعالى وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع
امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد **ومثاله** من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه
ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه وما يكرهه وما يغضب عليه وما يرضى
به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي
وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما
يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته
وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته
فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في
التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي
دون المعاني اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه
ولا يخافه وكذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف
من الاسد لونه واسمه وشكله قد لا يخافه وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك

Copyright © King Saud University